الأدب والاختلاف في أصالته

مرسل فرمان*
حليمه سعديه*

The word (*Adab*), contrary to its present equitant in English language (literature), has an interesting background and exciting history. This word went through many developments in its meaning and senses throughout the history of Arabic literature.

Linguistics took keen interest in each and every change and development came into its meaning. They thoroughly studied this word, and tried to link between its early root meaning (giving a banquet or feast), and its present meaning (literature). Linguistics' this attempt resulted in out break of differences among them regarding the word (*Adab*). This artide deals with this issue.

تقديم:

إن أدب أي أمة هو حياهم، أو مرآة تنعكس فيها حياهم الفكرية، والعقلية، والدينية، والأخلاقية، والروحانية. وهو الذي يتعيّن به صعودهم (ازدهارهم) وهبوطهم (اضمحلالهم). وإذا أراد إنسان أن يدرس حياة أي أمة بعمق فعليه بدراسة أدهم.

وفي كلمات موجزة إن خصبة الأدب، وحيويته، وإيجابيته يعين خصبة الأمة الفكرية والعقلية، واتجاهاهم الإيجابية، وحيويتهم

* المحاضر في العلوم الإسلامية، مركز الشيخ زايد الإسلامي، جامعة بشاور.
* محاضرة بالكلية الحكومية، نوشهره

الروحانية.

غير أن سؤالاً يحوك في صدورنا قبل أن نبدأ دراسة الأدب، وهو: أن الأدب ما هو؟ وكيف كان بالأمس؟ وكيف وصل إلى حالته الراهنة؟

فلذا يجب أن نراجع القواميس القديمة المستندة، ومصادر الأدب المعتمدة، ونحاول معرفة معنى كلمة "الأدب" الأصلي الذي وضع لها، كما علينا دراسة معانيها التي أضيفت إليها عبر التاريخ، والتي سبّبت سعتها، حتى وصلت إلى حالتها المتداولة.

والسطور التالية هي محاولة من نوعها في جني هذا الهدف.

معنى كلمة "الأدب" اللغوي

أَدَبَ يَأْدِبُ أدباً: من باب ضرب: أدبته أدبا علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.[١]

الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يأدب الناس الذين يتعلمونه إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.[٢]

وفي المصباح: "الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، فالأدب اسم لذلك والجمع آداب مثل سبب وأسباب".[٣]

وفي الحديث عن ابن عباس[٤] رضي الله عنه: لم أزل حريصاً

على أن أسأل عمر[٥] رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوْبُكُمَا)[٦] إلى أن يرد في الحديث: (...فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ).[٧]

وفي حديث آخر: عن النبي ﷺ : (مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ).[٨]

وروي عن النبي أيضاً: (أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ).[٩]

قيل: إن أصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة و مأدبة.[١٠]

قال أبو عبيد[١١] عن الأصمعي[١٢]: الأَدْبُ: عجيب، يقال: جاء فلانٌ بأمر أَدْبٍ، أي بأمر عجيب. وأنشد:

سمعت من صلاصل الأشكال أدْباً على لَبَّاتها الحوالي [١٣]

ويأتي "الإدْب" أيضاً للعجب.

وأدب أدبا من باب ضرب أيضا صنع صنيعا ودعا الناس إليه[١٤]، فهو آدب، وقال طرفة[١٥] :[١٦]

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتفر[١٧]

أي لا ترى الداعي يدعو بعضا دون بعض بل يعمم بدعواه في زمان القلة وذلك غاية الكرم.[١٨]

آدِبٌ (ج) أَدَبَة:

وفي حديث علي[١٩] كرم الله وجهه: .... (أما إخواننا بنو

أمية فقادة أدبة) [٢٠]، الأَدَبة جمع آدب مثل كتبة وكاتب وهو الـذي يدعو الناس إلى المأدبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليـه الناس.[٢١]

أُدْبَة مأدُبة (ج) مآدب:

الأُدْبَة والمَأْدَبَة والمَأْدُبَة كل طعام صنع لدعوة أو عرس قـال صخر الغي[٢٢] يصف عقابا:

كأن قلوب الطير في قعر عشها

نوى القسب ملقي عند بعض المآدب[٢٣]

والمشهور في المأدبة ضم الدال وأجاز بعضهم الفتح وقال هي بالفتح مفعلة من الأدب قال سيبويه[٢٤] قالوا المأدبة كما قالوا المدعاة وقيل المأدبة من الأدب وفي الحديث عن ابن مسعود[٢٥] إنّ هَذَا الْقُرآنَ مَأْدُبَةُ (مأدَبة) اللهِ فِيْ الْأَرْضِ[٢٦] فَتَعَلَّمُوْا مِنْ مَأْدُبَتِهِ (مأدَبتـه)[٢٧] يعني مدعاته قال أبو عبيد يقال مأدُبة و مأدَبة فمن قال مأدُبة أراد به الصنيع يصنعه الرجل فيدعو إليه الناس يقال منه أدبت على القـوم آدب أدبا ورجل آدب قال أبو عبيد وتأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه ومن قـال مأدَبة جعله مفعلة من الأدب وجعلهما البعض لغتين مأدُبة و مأدَبـة بمعنى واحد.[٢٨]

المأدُبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس وفي

حديث كعب رضي الله عنه (إن للّه مأدُبَةً من لحُوم الـرُّوم بمـروج عَكَّا) [٢٩] أراد أهم يقتلون بها فتنتابهم السباع والطـير تأكـل مـن لحومهم.[٣٠]

وكذلك ورد في حديث: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَخُـذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ....".[٣١]

وأيضاً في البخاري: "مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَـا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنْ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ الْمَأْدُبَةِ ....".[٣٢]

أدُبَ: أَدُبَ الرَّجلُ يَأْدُبُ أَدَباً فهو أَدِيبٌ وأَرُبَ يَأْرُبُ أَرَابـةً وأَرَباً في العَقْلِ فهو أَرِيبٌ.[٣٣]

قيل: أَدُبَ فلان يأدُب أدَباً: راض نفسه على المحاسن، فهـو أديب.[٣٤]

أدّب (تفعيل):

أدّبه فتأدّب: علّمه فتعلّم.[٣٥]

وفي المصباح المنير: أدّبته تأديبا مبالغة وتكثير ومنه قيل أدبتـه تأديبا إذا عاقبته على إساءته لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب.[٣٦]

وفي حديث رسول الله ﷺ : لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ.[٣٧]

وفي رواية أخرى: عن ابن مسعود قال: (لَيْسَ مِنْ مُؤَدِّبٍ إِلَّا

وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى أَدَبُهُ وَإِنَّ أَدَبَ اللَّهِ الْقُرْآنُ).[٣٨]

آدَبَ: آدب القوم إلى طعامه يُؤْدِبهم إيدابا وأدب عمل مأدبة. وآدبتُه أُودِبَ إيداباً: أدب.[٣٩]

المأْدُوْبَة: المرأة التي صنع لها الصنيع.[٤٠]

وقال عدي بن زيد[٤١]:

زَجِلٌ وَبْلُهُ، يُجَاوِبُه دَفٌّ لِخُونٍ مَأْدُوْبَةٍ، وَزَمِيْرُ

ويقال للبعير إذا رِيض وذُلِّلَ: أدِيب مؤدب؛ وقال مزاحم العقيلي[٤٢]:

وهن يصرِّفن النوى بين عالج

ونَجْرَان، تَصْرِيفَ الأَدِيبِ المُذَلَّلِ[٤٣]

الأَدَبُ: الظرف وحسن التناول.[٤٤]

الاختلاف في اشتقاق كلمة "الأدب"

عنوان الاختلاف في اشتقاق كلمة "أدب" عنوان عجيب، لأن هذا يبدو عند أول نظرة إلى كلمة "أدب" أن مادتها الهمزة والدال والباء. فلِمَ إذن هذا الاختلاف؟ ألا يوجد مادتها ومعناها في القواميس؟

نعم! نستطيع أن نجد معنى الأدب في القواميس تحت مادة الهمزة والدال والباء، واشتقاقها المختلفة مع استعمالاتها. كذلك

يمكننا أن نرى في كتب الأدب العربي تطور هذه الكلمة – توسعها وتضيقها – في العصور المختلفة، والنصوص التي تدلّ عليها. وهكذا التعاريف التي قدّمها علماء الأدب عبر الزمن.

وإذا طالعنا هذه الكتب - أي كتب الأدب - وجدنا أن علماء الأدب القدماء اتفقوا على اشتقاق الأدب - وهو الهمزة والدال والباء – و لم يختلفوا فيه. غير أن الغرب عندما أقبل على اللغة العربية وعلومها، فأثرت فلسفتهم (الشك في كل شيء) في الأدب العربي أيضاً، ومنها إعادة دراسة كلمة أدب من زوايا مختلفة، وفي التالي تفصيلها:

١- تحقيق المستشرق الإيطالي الأستاذ نللينو[٤٥]:

يشتقها نللينو من الدأب بمعنى العادة، ويرى أن هذه الكلمة لم تشتق من المفرد، وإنما اشتقت من الجمع، فقد جمعت "دأب" على "أدآب" ثم قلب فقيل "آداب" كما جمعت "بئر" و "رئم" على "آبار" و "آرام" ثم قلبت فقيلت "آبار" و "آرام".

ويستمر الأستاذ نللينو بقوله: وكثر استعمال "الآداب" جمعاً "للدأب" حتى نسي العرب أصل هذا الجمع وما كان فيه من قلب، وخُيّل إليهم أنه جمع لا قلب فيه، فأخذوا منه مفرده أدباً لا دأباً، وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة، ثم انتقل من هذا المعنى الطبيعي القديم إلى معانيه الأخرى المختلفة.[٤٦]

ردّ الآخرين على هذا الرأي

ردّ الأستاذ الحوفي[٤٧]:

الأستاذ أحمد محمد الحوفي يردّ عليه في كتابه "الحياة العربية من الشعر الجاهلي" ردّاً قاطعاً قائلاً: "وهذا فرض، وتكلف لا نقره".[٤٨]

ثم جاء بأدلته:

أ- لأن كلمة آبار وآرام لم يشتق منهما مفرد أن تكون الصلة بينهما وبين بئر ورئم كالصلة بين أدب ودأب في الحروف والمعنى، فيقال مثلاً ابْر وارْم.

ب - لم يذكر الباحث شبيهاً في هذا الاشتقاق في اسم معنى قدمت عينه على فائه في الجمع ثم اشتقّ منه فعل جديد.

ج - لم يرد في معجم أو نص جمع كلمة الدأب أو الدأب على أدآب، ولكن ورد في كتب اللغة جمع بئر على أبآر وآبار، وجمع رئم على أرآم وآرام.

د - لم يرد الدأب بمعنى الأدب، لأن الدأب العادة والشأن والاستمرار حسناً أو قبيحاً، والأدب خلق كريم في أول معانيه.[٤٩]

ردّ الأستاذ أحمد حسن الزيات[٥٠]:

والأستاذ أحمد حسن الزيات – وإن استقل برأي له خاص سيأتي ذكره – يعترض على رأي الأستاذ نللينو بقوله: "ولسنا ننكر مذهب العرب في القلب، ولا اشتقاقهم أفعالاً مجردة جديدة من

أفعال تخذا من أخذ، وتله يتله تلها أي ذهل وتحير من شدة الوجد من اتله يتله، وأصله وله، كأنهم توهموا أن التاء في كل ذلك أصلية. ولكن رأي الأستاذ على رزانته ووزانته يضعفه هذه الحلقة المفقودة وهي جمع الدأب على الآداب، فإنه لم يرو في أثر ولم يرد في معجم".[٥١]

ردّ الأستاذ طه حسين[٥٢]:

وهكذا الأستاذ طه حسين – وإن كان قد تأثر بتحقيق الأستاذ نللينو – لكنه يعترف بأن رأي الأستاذ نللينو كرأي غيره من أصحاب اللغة، يعتمد في أصله على الفرض.[٥٣]

ونتيجة هذا الرأي أن بعضاً من دوائر المعارف ذكرت أن أصل الأدب هو "الدأب" بدون تحقيق، فمنها: دائرة المعارف الإسلامية بالأردية [٥٤]، وهكذا موسوعة الإسلام (The Encyclopaedia of Islam[٥٥]).

٢– رأي الأستاذ مصطفى جواد[٥٦]:

ويرى الأستاذ مصطفى جواد أن كلمة "أدب" مشتقة من الهذَب، وقلبت الهاء همزاً كما في هيا وأيا وهراق وأراق.

ردّ الآخرين على هذا الرأي

ردّ الأستاذ الحوفي:

لا يخلو هذا الرأي من الافتراض، لذا نرى الأستاذ الحوفي يردّه

بقوله: ولكن يضعفه أن الكلمة لم تستعمل مرة على هذا الأصل لا فعلاً ولا اسماً، وأن في الكلمة الواحدة وهي ثلاثية قلب الهاء همزاً والذال دالاً. وذلك غير وارد لدى العرب.[٥٧]

٣- قول الأستاذ الأب أنستاس الكرملي[٥٨]:

ثم جاء الأستاذ الأب أنستاس الكرملي فاحتال للكلمة أصلاً يونانياً.[٥٩] وهو يرى أن الأدب "صنعة الأديب الوارد في اللغة اليونانية باللفظ والمعنى، فمن معاني الأديب عندهم الحسن الغناء، اللذيذ المحادثة والمنادمة والمجالسة، المثير لهوى جلسائه بأنغامه المشجية وحديث الريق".[٦٠]

ردّ الآخرين على هذا الرأي

ردّ الأستاذ أحمد حسن الزيات:

ردّ عليه الأستاذ الزيات قائلاً: ويظهر من كلام الأب الفاضل أنه يعرض هذا الرأي للبحث دون أن يقطع بصحته أو يتثبت بحجته.[٦١]

ردّ الأستاذ الحوفي:

يقول الأستاذ الحوفي: هذا الرأي ضعيف أيضاً، وإذا أراد واحد أن يثبت هذا فعليه أن يأتي بدليل أن هذه الكلمة جاءت إلى العربية من اليونانية.[٦٢]

٤- افتراض الأستاذ أحمد حسن الزيات:

يقول الأستاذ الزيات في كتابه "في أصول الأدب": إن معنى الأدب في لغة السامريين[٦٣] الذين عمروا جنوبي العراق في فجر التاريخ، ومما لا مساغ للشك فيه أن قبائل سامية نزحت من الجزيرة العربية إلى أرضهم حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد، فغزتهم وأخضعتهم واقتبست من لساهم وأدياهم وعمراهم، فلماذا لا نظنّ أن هذه الكلمة السومرية قد دخلت العربية بلفظها ومعناها، ثم تحولت إلى آدم، واستعملت كذلك في اللغات السامية، وبقيت العربية وحدها محتفظة لقدمها وعدم اختلاطها، ثم استعملت هذه الكلمة في الوصف استعمال المصادر، فأرادوا بها الرجل الذي استكمل مزايا الإنسانية من حر الخلال، وكرم الفعال، وحسن السيرة، كما نقول اليوم فلان آدمي وفلان إنسان، ثم قلبها الزمن على وجوه الدلالات حتى صارت إلى ما صارت إليه، ومما يساعد هذا الفرض قول التبريزي[٦٤] في شرح الحماسة: كان الأدب اسماً لما يفعله الإنسان فيتزين به في الناس.[٦٥]

ردّ الآخرين على هذا الرأي

ردّ الأستاذ الحوفي على هذا الرأي:

ردّ الأستاذ الحوفي عليه قائلاً: "إن المراد من الكلمة إذاً الرجل

كريم الأخلاق أو الممتاز بصفات، لا الخلق الكريم نفسه، ولا الصفات المميزة لبعض الناس، وليس في اللغة آثار تؤيد هذا المعنى أو تشير إليه، وحتى كلمة التبريزي نفسه صريحة في أن الأدب ميزة وحلية يتزين بها الرجل في الناس، على أن استعمال هذه الكلمة وصفاً كما تستعمل المصادر بعيد الاحتمال.[٦٦]

٤- رأي الأستاذ طه حسين:

لم يقبل الأستاذ طه حسين تقليد القدماء ولا افتراضات المتأخرين. وهو يعدّ هذا تكلفاً أن "الأدب" قد اشتقّ من الأدب بمعنى الدعوى إلى الولائم، وهناك صلة بينهما، واختلاف معانيها في عصور مختلفة، مظهراً عدم معرفته عن نصّ جاهلي صحيح ورد في لفظ "الأدب" أو في القرآن.

وهو يقبل ورود لفظ الأدب في حديث لكنه يرى أنه لا يثبت حكماً لغوياً إلا إذا صحّ عن النبي ﷺ بلفظه. وهكذا يردّ آراء الذين يستدلون بورود هذه الكلمة في كلام الخلفاء الراشدين بقوله: "الكلام المحمول على الخلفاء الأربعة كثير، وليس هناك سبيل لتحقيق ما صحّ أو لم يصح من هذا الكلام".

لكنه يرضى بشيوع هذه الكلمة في أيام بني أمية، إلا أنه يعتقد أن أول ما استعملت فيه هذه المادة هو التعليم — تعليم بطريق الرواية على اختلاف أنواعها: رواية الشعر، ورواية الأخبار، وأحاديث

الأولين، و لم يطلق لفظ المؤدب على رواة الحديث والدين، بل أطلق على رواة الشعر والخبر، وعلى الذين كانوا يحترفون تعليم الشعر والخبر، وما إلى ذلك، لأبناء الأرستقراطية.

ثم يقول: إننا إذا لم نجد هذه الكلمة في النصوص العربية الصحيحة، ولا في القرآن والحديث، ولا فيما ورد عن الخلفاء بطريقة قاطعة ولا في اللغات السامية الأخرى، فهنا نستطيع أن نفترض كما افترض الآخرون ... فمن المحتمل أنها دخلت في لغة قريش إبان العصر الأموي من إحدى اللغات العربية التي ضاعت، لأنها لم تدون منها إلا شيئاً يسيراً بالقياس إلى ما أهمل إهمالاً.

هنا يترك الأستاذ هذا الموضوع وينتقل إلى معنى هذه الكلمة ويقول: مهما يكن أصل هذه الكلمة ومصدرها التي اشتقت منه، فقد كانت تدل في العصر الأموي على الشعر والخبر وما يتصل بهما. وهذا المعنيان اتسعا وأضيفت إليهما علوم اللغة فتطورت حتى استقلّت وعاد معنى الأدب إلى الضيق بعد السعة، وأصبح لا يدل إلا على ما نجد في كتب كالكامل للمبرد[٦٧]، والبيان والتبيين للجاحظ[٦٨] وغيرهما. وهذا ما يدلّ عليه هذا العلم (الأدب) في حياتنا اليوم وهو مأثور الكلام نظماً ونثراً وما يتصل به من هذه العلوم والفنون التي تعين على فهم الأدب من ناحية وتذوقه من ناحية أخرى ... وهذا الذي يدل عليه الأدب عند الأمم الأجنبية القديمة أو الحديثة أيضاً

كإلياذة[٦٩] والأوديسة[٧٠] وتاريخ هيرودوت[٧١] وتوسيديد ...[٧٢]

هنا يشعر إنسان كأنه قرّب "الأدب" في العربية إلى "Literature" في اللغات الغربية.

وهذا ما جعل الأستاذ أحمد محمد الحوفي يقول: الدكتور طه حسين كان في أول الأمر يدين برأي الأستاذ نلينو، ولكنه بعد ذلك جعل يحار في الاهتداء إلى مصدر الكلمة ولا يرتضى رأياً من الآراء، فيفترض أنها من لغة قبيلة عربية قديمة، ولكن النصوص المثبتة لمعناها الأصيل ضاعت. وهذا رأي يعتمد على هدم البناء بمعول من الخيال والفرض لا يبني ولا يهدم.[٧٣]

خلاصة القول

إن ما قرأناه في السطور الفوقانية يوضح أن في كلمة "الأدب" اختلاف. فمن الأدباء واللغويين من ذهب إلى أن "الأدب" هو نفس "الأدب" الذي ورد في الشعر الجاهلي بمعنى الدعوة إلى الوليمة، ثم جاء التطور فيها كما هو رأي جميع المتقدمين ومعظم الجدد سوى المستشرقين أو المتأثرين بهم.... ومنهم من ذهب إلى خلافهم كما هو رأي المستشرقين أو المتأثرين بهم مثل الأستاذ طه حسين.

لكن ما الذي سبّب هذا الاختلاف؟ وما هي النكتة الأساسية التي إذا عرفناها عرفنا القضية كلها؟

إن الذي اتفق عليه العلماء هو أن كلمة "الأدب":

١- وردت في الشعر الجاهلي بمعنى الدعوة إلى الوليمة ....

٢- كانت شائعة في العصر الأموي وما بعدها من العصور...

لكن المشكلة هي الفرق بين المعنيين مع اتفاقهما في المادة، بحيث أن العلماء إذا قرّروا مادةَ "الهمزة والدال والباء" الجاهليةَ أصلَ الأدب، واجهوا التفاوت في المعنى، وإذا راعوا المعنى أنكروا أصل الأدب في الجاهلية. فهنا انقسموا قسمين:

١- جماعة ترى مادة " الهمزة والدال والباء" أصل "الأدب":

فهذه الجماعة تدين ما كان يدينه القدماء والأسلاف، وهي التي توفّق بين المعنيين كي يزول التفاوت بين المعنيين المختلفين معنًى ومتفقين مادةً.

وخلاصة رأيهم:

أ- أن الكلمتين سيان في المادة.

ب- استعملت هذه الكلمة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ونستطيع أن نراها شائعة في العصر الأموي وما بعدها من العصور.

ج- وعلى ذلك، وردت هذه المادة في الحديث النبوي، وفي كلام الخلفاء الأربعة أيضاً.

٢- وجماعة تنكر أصل الأدب في الجاهلية، وخلاصة دلائلهم:

أ- مع أن الكلمتين متفقتان في المادة، لكنهما مختلفتان في المعنى.

ب- نصوص العصر الجاهلي هي ليست قوية إسناداً حتى تثبت

حكماً لغوياً.

ج- أما الحديث فليس بحجة قاطعة ... أو لا يُثبت حكماً لغوياً إلا إذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشكّ، أو كان الراجح على أقل تقدير أنه صحّ بلفظه عن النبي ﷺ.[٧٤]

رأي الباحث

أفضل رأي الذين يرون كلمة "الأدب" جاهلية الأصل، وذلك لعدة أسباب:

١- وإذا أردنا أن نفحص أصالة الأدب من العربية ينبغي أن نختبرها في ضوء الدلائل اللغوية التي تثبت حكماً لغوياً، ولا في ضوء الدلائل التي تثبت حكماً علمياً أو دينياً.

وهذا ما فعل اللغويون القدماء بغير أي ضغط أجنبي، وكلهم اتفقوا على ذلك، و لم يشك أحد في أصالته طوال القرون، بينما إذا سلكنا مسلك المستشرقين أو المتأثرين بهم فمن المحتمل أن نشك في أصالة معظم العربية.

٢- والأحاديث التي وردت فيها هذه الكلمةُ هي أقوى إسناداً وأكثر اعتماداً من الشواهد التي تثبت حكماً لغوياً.

٣- قد لا يكون الخيار لدى الإنسان بين الدليل القوي والضعيف، وإنما يكون بين الدليل الضعيف والأضعف. فالذين يرون أصل

"الأدب" من غير العربية هم عندي أضعف رأياً، وذلك لأنهم بنـــوا عمارة رأيهم على شكوك وافتراضات لا أساس لها. أما الذين يرون أصل "الأدب" من العربية، فبناء رأيهم على أسس ثابتة، وهـــي أن ورود مادة "الهمزة والدال والباء" في العصر الجاهلي والإسلامي وما بعدها، وكذلك وردت هذه الكلمة في أحاديث عديدة بطرق مختلفة ما يجعلها تاريخاً لا ينكر.

الهوامش

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، مادة (أدب)، ٩/١

[2] تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق: رياض زكي قاسم. دار المعرفة بيروت لبنان، تحت مادة (أدب)، ١٣٢/١، ؛ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١: (لات) دار صادر، بيروت، تحت مادة (أدب) ؛ تاج العروس من جواهر القاموس، سيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق د. عبد العزيز مطر، التراث العربي، الكويت، تحت مادة (أدب)، ٧٤/١

[3] المصباح المنير، مادة أدب، ٩/١؛ تاج العروس، مادة (أدب)، ٧٤/١

[4] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل. لازم رسول الله ﷺ ، روى عنه الأحاديث الصحيحة. شهد مع علي الجمل وصفين. كف بصره في آخر عمره. سكن الطائف وتوفي بها عام ٦٨ هـ. له ١٦٦٠ حديثاً. [الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١: ١٤١٢ هـ، دار الجيل، بيروت: ت ٤٧٧٢ ؛ صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي، تح: محمود فاخوري ومحمد رواس، ط٢: ١٣٩٩هـ، دار المعرفة، بيروت: ٣١٤/١]

[5] عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين وأول من نودي بلقب أمير المؤمنين. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهادهم. من إنجازاته: أنه أول من اتخذ الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي، كما أنه أول من دون الدواوين، وهو أول من اتخذ بيت المال، وأول من اهتم بإنشاء المدن الجديدة، فتحت في عهده بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وبرقة وطرابلس الغرب وأذربيجان

ونهاوند وجرجان. [الإصابة: ت ٥٧٣٨]

[٦] التحريم: ٤

[٧] الجامع الصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط٣: ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، بيروت، كتاب (المظالم)، باب (الغرفة والعلية المشرفة ...)، رقم الحديث: ٢٢٨٨

[٨] الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لات)، كتاب (البر والصلة)، باب (أدب الولد)، رقم الحديث: ١٨٧٥

[٩] سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، كتاب (الأدب)، باب (البر والإحسان إلى البنات)، رقم الحديث: ٣٦٦١

[١٠] اللسان وتهذيب اللغة، تحت مادة (أدب)

[١١] القاسم بن سلّام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدباً. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، من كتبه (أدب القاضي) و (الأمثال). [تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط: ١، ١٤٠٤ هـ: ٣١٥/٧؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط:٢، ١٣٦٤هـ، دار الفكر، القاهرة: ٤١٨/١]

[١٢] الأصمعي: (٢١٦هـ) هو عبد الملك بن قُريب من بني مالك. وُلد في البصرة

وتوفي في خراسان. أخذ العلم من عيسى بن عمر الثقفي وشعبة بن الحجاج وحمّاد بن سلمه. كان الأصمعي صاحب لغة ونحو وإماماً في علم الشعر ورواياته. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. صاحب الأصمعيات. [تاريخ بغداد، للحافظ الخطيب البغدادي، مصطفى عبد القادر، ط١: ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت: ٤١٤/١٠]

[١٣] تهذيب اللغة، تحت مادة (أدب)

[١٤] المصباح المنير، تحت مادة الأدب

[١٥] طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. من أصحاب المعلقات. بدد ثروته وهام متشرداً إلى أن اتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة فمدحه ثم غضب عليه الملك وأمر بقتله. له "ديوان". [الشعر والشعراء ، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٣٨٦هـ: ص٤٩؛ خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي، الرياض: ٤١٤/١-٤١٧]

[١٦] مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام هارون. ج١. ط٢. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحت مادة (أدب)؛ مجمل اللغة، لابن فارس. تحقيق: زهير عبد المحسن. ج١. مؤسسة الرسالة. عراق، تحت مادة (أدب)، مادة (أدب).

[١٧] شرح ديوان طرفة بن العبد، تقديم: سيف الدين و أحمد عصام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٩م: ص٥٢

[١٨] مصباح، تحت مادة (أدب)

[١٩] علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو تراب. تربى في بيت النبي . هو رابع الخلفاء الراشدين. اتفق المسلمون على فضله و عـرف عنـدهم بالعلم و الحلم والشجاعة والكرم. هو أول من أوائل من آمن بالنبي ﷺ. يوجد كثير من فضائله استشهد وهو يصلي. [تاريخ الأمم والملوك، محمد بـن جريـر الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٧: ٨٣/٦ ؛ حلية الأوليـاء وطبقات الأصفياء ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بـيروت، ط: ٤، ١٤٠٥ هـ، ٦١/١]

[٢٠] النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ،: ٥٨/١ ؛ غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق : محمد عبد المعيد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٣٩٦هـ : ١٤٦/٢

[٢١] اللسان، تحت مادة (أدب)

[٢٢] صخر الغي: صخر بن عبد الله الخيثمي، من بني هـذيل: شـاعر جـاهلي. ودارت بين أبي المثلم وصخر الغي مناقضات وقصائد. [الأغـاني، لأبي الفـرج الأصفهاني، تحقيق : سمير جابر، ط: ٢ (لات)، دار الفكر، بيروت: ٣٤٤/٢٢-٣٥٠]

[٢٣] لسان، تحت مادة الأدب

[٢٤] سيبويه: هو أبو بِشر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بـن كعب. وُلد في البيضاء قرب شيراز (فارس) نحو سنة ١٤٥هـ ثم جاء إلى البصرة شاباً. فأخذ عن الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب. سيبويه أكبر علماء النحو وأشهرهم. من مؤلفاته "الكتاب". [تاريخ الأدب العـربي، أحمـد

حسن الزيات. (لا ط ت) دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور: ٢/١٢٠]

[٢٥] عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلاً وعقلاً، وقرباً من رسول الله ﷺ . من السابقين إلى الإسـلام. كان خادم رسول الله وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يـدخل عليه كل وقت. ولي بعد وفاة النبي بيت مال الكوفة. فتوفي فيها عام ٣٢ هـ. له ٨٤٨ حديثاً. [الإصابة في تمييز الصحابة : ت ٤٩٥٥]

[٢٦] النهاية في غريب الأثر: ٥٨/١

[٢٧] غريب الحديث لابن سلام: ١٠٧/٤

[٢٨] اللسان ؛ تاج العروس، تحت مادة الأدب

[٢٩] النهاية في غريب الأثر: ٥٨/١

[٣٠] لسان، تحت مادة الأدب

[٣١] سنن الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، ط١: ١٤٠٧ هـ، دار الكتب العلمية، كتاب فضائل القرآن، فضل من قرأ، رقم الحديث: ٣١٧٣

[٣٢] صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، ضبطه ورقمه مصطفى ديـب البغا، دار ابن كثير، دمشق بيروت، لبنان، رقم الحديث: ٦٧٣٨

[٣٣] تهذيب؛ لسان؛ تاج، تحت مادة الأدب

[٣٤] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أخرجه: فهيم مصطفى هـارون وآخرون، القاهرة، ١٣٨٠ — ١٣٨١ هـ، ص:٩

[٣٥] اللسان؛ تاج العروس، تحت مادة الأدب

[٣٦] مصباح، تحت مادة الأدب

[٣٧] سنن الترمذي، كتاب (البر والصلة)، باب (أدب الولد)، رقم الحديث: ١٨٧٤

[٣٨] سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، رقم الحديث: ٣١٨٧

[٣٩] تهذيب، تحت مادة الأدب

[٤٠] كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السّامرائى. تصحيح: أسعد الطيب ، تحت مادة (أدب)

[٤١] عدي بن زيد بن حماد الحيري العبادي: شاعر تميمي من دهاة الجاهليين، كان نصرانيا من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية. هو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانا بينه وبين العرب، تزوج هندا بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان الثالث بما أوغر صدره فسجنه وقتله بأن خنقه النعمان بنفسه في السجن. [خزانة الأدب : ١٨٤/١-١٨٦ ؛ الأغاني: ٩٧/٢]

[٤٢] مُزاحم العُقَيلي: مزاحم بن الحارث، أو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث، من بني عقيل بن كعب، من امر بن صعصعة. في زمن جرير والفرزدق. [خزانة البغدادي: ٤٣/٣، ٤٥ ؛ طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق : محمود محمد شاكر، (لا.ط.ت) دار المدني، جدة: ٥٨٣]

[٤٣] تهذيب اللغة: تحت مادة (أدب)

[٤٤] ترتيب قاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، (لا ط):١٩٧٩م، دار الكتب العلمية.بيروت لبنان.

[٤٥] نللينو: كارلو الفونصو (١٨٧٢ – ١٩٣٨م) مستشرق إيطالي، نشر "الزيج الصابي" للبستاني، مع ترجمة لاتينية، ودراسات عن التصوف والفلسفة الشرقية، في مجلات الاستشراق، وطبعت محاضراته بالعبرية عن "تاريخ علم الفلك عند

العرب" (روما — ١٩١١م). [الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، دار المعلم للملايين، بيروت، ٢١٣/٥].

[٤٦] في الأدب الجاهلي، طه حسين. ط٢: ١٩٢٧م، دار المعارف، ص٢٣

[٤٧] أحمد محمد الحوفي (ت١٩٨٢م): الباحث، الموسوعي، اللغوي. ولد في مصر، تخرج من دار العلوم العليا، حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٢م، وعين مدرساً فأستاذاً ورئيساً لقسم الدراسات الأدبية، وقد انتخب عضواً لمجمع اللغة العربية عام ١٩٧٣م. وشارك في عدة مؤتمرات. وكان عضواً في عدة لجان. [تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، ط١: ١٤١٨هـ، دار ابن حزم، بيروت، ج١، ص٥٨]

[٤٨] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ط٤: ١٩٦٢م، دار القلم، بيروت، لبنان، ص١٠

[٤٩] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص: ١٠-١١

[٥٠] الزيات، أحمد حسن (١٨٨٥ — ١٩٦٨م): أديب وكاتب وصحفي مصري. عمل بالتدريس، تعلم الفرنسية وحصل على الليسانس، عمل رئيساً للقسم العربي في الجامعة الأمريكية. وتم اختياره استاذاً لدار المعلمين العالية ببغداد. ومن أهم آثاره المنشورة: تاريخ الأدب العربي. [الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، رياض، ط٢: ٦٨٤/١١]

[٥١] في أصول الأدب، أحمد حسن الزيات. شركة الخزندار للتوزيع، السعودية، ص ٨

[٥٢] طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣): أديب وناقد مصري كبير. لُقّب بعميد الأدب العربي. ولد في مصر. فقد بصره طفلاً. درس في الأزهر والجامعة الأهلية بفرنسا.

أسس جامعة الأسكندرية وتولى إدارتها ١٩٤٢م. وزير المعارف ١٩٥٠م، عمل على إقرار مجانية التعليم وأسس جامعة عين شمس. له انتاج وافر يتوزع في الصحف والمحاضرات والكتب ويشمل الأدب والنقد والسير والقصيدة. له مؤلفات كثيرة. [الأعلام: ٢٣١/٣]

٥٣ في الأدب الجاهلي، ص٢٣

٥٤ اردو دائرة معارف إسلامية، ج:٢، ص: ٢٢٩، جلد أول، ١٩٦٦، نقش ثاني: ١٩٨٠م، زير اهتمام: دانش كاه بنجاب، لاهور

٥٥ The Encyclopaedi of Islam، New Edition، By a number of Orientalists، Vol: ١، pg: ١٧٥; First Encyclopaedia of Islam ،Vol: ١، pg: ١٢٢

٥٦ مصطفى جواد (١٩٠٥ – ١٩٦٩م): مصطفى جواد بن مصطفى البغدادي: أديب مدرس، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق وبغداد مولده ووفاته ببغداد. وتعلم ببغداد وبالقاهرة ثم بالصوربون في جامعة باريس. تولى التدريس في مدارس آخرها دار المعلمين. له مؤلفات، منها: المباحث اللغوية في العراق، وله ديوان.. [الأعلام للزركلي، ج٧، ص٢٣٠]

٥٧ الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص:١٠

٥٨ أنستاس الكرملي (١٨٤٦-١٩٤٧م): راهب كرملي، عالم بالأدب ومفردات العربية وفلسفتها وتاريخها. أصله من لبنان؛ وانتقل أبوه إلى بغداد. عضو المجمع العلمي العربي. لغوي، أديب. صاحب مجلة "لغة العرب"، من مؤلفاته الكثيرة (أغلاط اللغويين الأقدمين) و (جمهرة اللغات) و (خلاصة تاريخ بغداد) و (شعراء بغداد وكتابها). [الأعلام: ٢٥/٢؛ المنجد في الأعلام، ط١٠، المكتبة الكاثولية، دار المشرق، بيروت، لبنان، ت ١٩٨٠م: ص٧٧]

[٥٩] في أصول الأدب، ص ٨

[٦٠] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص: ١٠-١١

[٦١] في أصول الأدب، ص٨

[٦٢] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص: ١٠-١١

[٦٣] الطائفة السامرية، هي مجموعة عرقية دينية تنتسب إلى بني إسرائيل وتخالف اليهود في نقاط منها إنهم لا يقرون من كتب الوحي إلا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة ويقومون بعبادتهم على جبل جرزيهم جنوبي شكيم أو نابلس. [المنجد في الأعلام: ص٣٤٦]

[٦٤] يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا: من أئمة اللغة والأدب. نشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام، فقرأ (تهذيب اللغة) على أبي العلاء المعري. ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي عام ٥٠٢هـ. من كتبه (شرح ديوان الحماسة لأبي تمام). [وفيات الأعيان: ٢/٢٣٣ ؛ الأعلام: ٨/١٥٧-١٥٨]

[٦٥] في أصول الأدب، ص:٨

[٦٦] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص: ١٢

[٦٧] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. ولد بالبصرة، وتوفي ببغداد عام ٢٨٦هـ. من كتبه (الكامل) و (المذكر والمؤنث) و (المقتضب) و (التعازي والمراثي). [بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٤هـ، ١/١٦ ؛ وفيات الأعيان: ١/٤٩٥]

[٦٨] الجاحظ (أبو عثمان) (٢٥٥هـ): من أئمة الأدب العربي. ولد وتوفي بالبصرة. اطلع على جميع العلوم المعروفة في عصره. نسبت إليه فرقة الجاحظية وهي إحدى فرق المعتزلة. من مؤلفاته الكثيرة: "الحيوان" في سبعة أجزاء. و "البيان والتبيين" و "البخلاء" و"التاج". [لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، تحقيق : دائرة المعارف النظامية – الهند، ط٣: ١٤٠٦هـ: ٣٥٥/٤]

[٦٩] إلياذة هوميرُس Iliade : ملحمة يونانية في ٢٤ نشيداً تروي أخبار حرب طروادة بين الإغريق والطرواديين. من روائع الشعر الملحمي العالمي. عرّبها شعراً سليمان البستاني ونشرها في دار الهلال بمصر ١٩٠٤م مصدّرة بمقدمة في هوميرُس وشعراء اليونان والعرب وآدابهم. [المنجد في الأعلام: ٦٢]

[٧٠] الأوديسة إحدى ملحمتي هوميروس الخالدتين تتكون من ٢٤ نشيداً يروي لنا الشاعر محاولة تليماخوس البحث عن أبيه أودوسيوس الذي وقع أسيراً في كاليبسو, ثم يصل بطل الأوديسه إلى أهل فاياكيا, فيعود أودوسيوس ويعود ابنه إلى أيتاكا ويتفقان على تدبير حيلة للانتقام من العشاق الذين ضايقوا بنيلوبا في غيبة زوجها فيقتلهم أودوسيوس ويسترد حكمه ويعيش آمناً في وطنه. [الموسوعة العربية الميسرة: ٢٥٧/١]

[٧١] هيرودوت أو هيرودوتسHerodotos (٤٨٤؟ - ٤٢٥؟ ق.م.): مؤرخ ورحالة يوناني. لقّب بـ (أبي التاريخ). زار العالم المعروف آنذاك لا سيما العراق وفينيقيا ومصر. له (تاريخ) هو من أهم المراجع لمعرفة أخبار الأمم القديمة وأساطيرها. [المنجد في الأعلام: ص٧٣٦]

[٧٢] في الأدب الجاهلي، ص ٢٦- ٢٩

[٧٣] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص: ١١

[٧٤] في الأدب الجاهلي، طه حسين. ص٢٣